من مظاهر الحياة في لندن

انجلترا كيف تنشئ أطفالها

- ٢ -

بقلم : الاستاذ يوسف سلحاد كبه

اصول الدراسة

تعتقد الهيئات المشرفة على نشر المعارف بأن وجود نوع واحد من الثقافة عامل من اقوى عوامل الائتلاف بين طبقات الشعب ، لافرق بين الغني والفقير وكلما كانت اسس البناء قائمة على دعائم من مواد ذات قوة واحدة في التماسك والصلابة كلما كان البناء اشد ثباتاً ازاء التيارات والعوارض الطارئة ، لذلك كانت المناهج التدريسية موحدة في جميع المدارس في انجلترا والهيئات التدريسية تتمتع بحرية البحث والتوجيه الصحيح ، لارشاد الطلاب الى الحقائق العلمية وحدها ، ولا تستغل ادمغة الطلاب لحشوها بالآراء المزوقة ، والمعلومات التي لاتدخل لطالب العلم فيها . ولاتخضع المناهج التدريسية الى أية سياسة تضر ادنى ضرر بالمثل العليا العلياء ناهيك عما تتمتع به من الاستقلال دور الثقافة العالية والجامعات سواء في السياسة المالية او الثقافية ، مما لايتسع مجال البحث لاستيعاب شتى نواحيه يتميز ذلك واضحا في مدينة (اكسفورد) تلك المدينة الجامعية العتيدة التي لايجد الزائر فيها غير بنايات الكليات والمؤسسات العلمية والجامعات والمكتبات وما يتبعها من منازل العلماء والأساتذة والاقسام الداخلية للطلاب . .

واصول الدراسة في المدارس الابتدائية والثانوية ، قائمة على اساس ان يكون نصيب الطالب والطالبة فيها من الثقافة مايمكنه من القيام بالخدمة العامة اللامة . ففيها تدرس امكانيات الطلاب على اوسع مدى ، فيعطى الطالب فرصة مناسبة يستجمع فيها ميوله ويركز رغباته ، لتكون قاعدته الاولى ، يتخذ فيما بعدها المهنة التي تصلح لها مواهبه الفطرية والمكتسبة . ففي نتائج الامتحانات يوزع التلاميذ ، وفق رغباتهم ، على المدارس المهنية والتجارية والفنية والعسكرية وغيرها ، فيما اذا لم يتزع الطالب في رغبته الى الاستمرار في الدراسة العليا في احدى الجامعات .

المدارس الخاصة

عدا المدارس الكثيرة المنتشرة في كل حي من احياء لندن ، فهناك معاهد خاصة بذوي اليسر والجاه وهي مدارس لاتتجاوز درجتها العلمية الدراسة الاعدادية ، ولكنها ذات طابع خاص ونزعة ارستقراطية بحتة ، نفقاتها باهضة جداً ، لايستطيع ان يدرس فيها غير الامراء ، واولاد الذوات والاعيان من الموردات والمتمولين . وهذا النوع من المدارس اقدم مؤسسات التعليم في انجلترا . والكثير منها قديم العهد جدا يرجع تاريخ انشائه الى القرن السابع . ويقدر عدد المدارس الداخلية منها في الوقت الحاضر باكثر من خمسين مدرسة ، كل واحدة منها معهد مستقل بذاته ، له شخصيته التي تميزه عن المدارس الاخرى . وكل من هذه المدارس عبارة عن مجتمع يحيا حياته الخاصة ضمن حدود ونظام معينين . ويتراوح عدد افراد الطلاب في كل منها بين الخمسمائة والالف تلميذ ، وتمتاز هذه المؤسسات المذكورة على الرغم من استقلال بعضها عن بعض بانها وثيقة الارتباط بحياة الامة العامة بوجه خاص . ومن اشهر هذه الموسسات العلمية مدرسة (ايتون) ومدرسة (هارو) وهي التي التحق بها لدراسة صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني المعظم حفظه الله . ومع ان «هارو» كانت قد انشئت عام ١٥٧١ م ولم تكن من اقدم المعاهد الخاصة ، غير انها احتلت خلال حياتها مكانة تفوق كثيراً المنزلة العلمية التي تتمتع بها غيرها كمدرسة (ايتون) و« ونشستر » ومدرسة « ركبي » و « سارترهاوز » وماعداها والتي تخرج منها اكثر الرجال في انجلترا وغيرها من قادة الرأي والسياسة على ان من الجدير بالذكر ، هو ان وجود هذه المدارس في انجلترا الديمقراطية لم يزل دليلا على رسوخ نظام الطبقات لدى الانجليز !!!

والقبول في هذه المعاهد ليس من الامور البسيطة التي تنتهي بالمراجعة او الرجاء ولايذهبن الظن باحد من ان الثروة او الجاه مجالا في ان يكون شفيعا لتسجيل التلميذ واعتباره احد افراد الاسرة في المدرسة . فهي المدارس الوحيدة التي يمكن

ان يقال عنها انها ، في قبول الطلاب ، تعتمد على ذكاء الفرد ومقدرته الخاصة على ادراك العلوم ، وفهم النظريات والاستنتاج . ولكل مدرسة اصول مرسومة ، في كيفية اختيار الأولاد الذين تستجيب الادارة لقبولهم في بداية كل سنة دراسية . ولدى طائفة من تلك المعاهد قوائم باسماء الاولاد الذين ينتظرون دورهم للالتحاق بها .. وحرصا على اقتناص الفرص فان كثيرا من الآباء يسجلون اسماء ابنائهم فيها وهم في سن الطفولة الباكرة والغرض من ذلك ان يكون لولدهم مقعد في المدرسة عند بلوغه سن القبول ..

والهيئات الثقافية في انجلترا ، تستنكر عادة منح الطلاب جوائز ومكافآت ، اعترافا منها بتفوقهم ودليلا على نبوغهم ، لأنها تستشعر بأن المكافاة تؤدي الى اثر معكوس في عالم المدرسة لأنها تولد في نفوس ذوي المكافأة الغرور ، وتبعث فيها الزهو والكبرياء من جهة ، وتورث في نفوس الطلاب الاخرين روح الحقد والحسد من جهة اخرى ، نتيجة الشعور بالنقص لتخيلهم بانهم اقل من زملائهم ذكاءً واحط قدرا .

المكتبات المدرسية

المدارس على اختلاف انواعها وتباين درجاتها ؛ لا تخلو من المكتبات . وليس في المدرسة مكتبة واحده حسب ، انما لكل فصل من فصولها مكتبة صغيره تساعد الطلاب على الدرس وتقيض لهم سبل المراجعة . بالاضافة الى ما هناك من مختبرات للتاريخ الطبيعي والكيمياء ، وعلم الحيوان والنبات ، وما فيها من موسوعات وخرائط جغرافية وغيرها . مما يجعل التلميذ فيها لايعيش في انجلترا فقط ، بل هو يعيش بتفكيره في افق اوسع ويحيا بخياله في العالم اجمع . وقد تصدر عن المكتبات مجلات مدرسية لاغنى للوسط المدرسي عنها ، وابحاثها لا تخرج عما هو ضروري لحياة الطالبات والطلبة على السواء ،

وكتب الاطفال القصصية ، مؤلفة بشكل يسير مع طبيعة الطفل وغريزته ، فيها من ابحاث التربية مايتفق وميول الصغير وغايتها رفع مستوى الاتجاه الثقافي والاجتماعي والصحي لدى الناشئة . وتقدم له المكتبات الخاصة بكتب الاطفال ، انواع القصص التي تهذب خلقه وتشحذ تفكيره ؛ وتبعث فيه الرغبة الى المطالعة والدأب على القراءة . والكتب المدرسية على العموم موضحة بالرسوم والصور التي تلائم امزجة الاطفال ، وتتمشى مع عقليتهم الدراسية كلما تدرجوا في المدرسة بالسنين.

وميزانية التعليم في انجلترا بلغت في العام الماضي ؛ حداً بعيداً عن التصور ، وهو مايقرب من ثمانين مليوناً من الجنيهات ، موزعة على التعليم الاولي والابتدائي والثانوي ؛ ولا تدخل ضمن هذه المبالغ ؛ ميزانية الجامعات والمدارس الخاصة .

الاذاعة المدرسية والسينما

وجدت الهيئات التربوية في الراديو ، خدمات كبيرة يمكن تسخيرها في حقل التربية . وعند حسن استخدامها تبين فيها من المزايا ما لم يكن بالحسبان ان تظهر بمثل تلك النتائج الباهرة لو لم تتخذ الاذاعة سببا من اسباب التوجيه الثقافي . فهي ، بالاضافة الى كونها اداة توسع الافق العقلي للطالب ، فانها كواسطة تعمل على تدريب الطفل اوالشاب ، في اختيار احسن الوسائل لاستخدام اوقات الفراغ ؛ من اجل ذلك خصصت تلك الهيئات لطلاب المدارس ، اذاعة مدرسية خاصة في لندن ، تبث مناهجها اكثر ساعات النهار ، وطرفا من الليل . يقوم على ترتيب فصولها اساتذة اختصاصيون ؛ ويشترك معهم فيها اشهر علماء التربية ؛ فيبذلون جهودا جبارة لاعداد المناهج المحببة للناشئة والتي تعود على الصغار بالفائدة الجلى والنفع العميم . وتجمع المناهج شتى المواضيع ؛ وضروب الاحاديث ؛ بما فيها اذاعة نتائج المباريات الرياضية ، والاستماع الى المسابقات المدرسية ، ولايخلو المناهج من موضوعات في سفرات كشافية لدراسة غرائب الطبيعة ؛ والتعرف على مناطق البلاد الاخرى ومجاهل الكرة الارضية ؛ بالاضافة الى ما هنالك من فصول ومواد لتثقيف العقل وصقل العاطفة ؛ والابتعاد عن الغرائز الدنيا . ولايعدم المنهج في يوم من الايام ، قصة ذات مغزى جميل ومحاورة اجتماعية ، يجد فيها الطلاب اسوة حسنة لهم يتعظون بها ويقتفون اثر شخصياتها في آداب المجاملة وحسن الاخلاق والسلوك في داخل المدسة وفي البيت . فتقوم اخلاقهم ؛ وترفعهم عن التدهور في حضيض الرذائل ، ويسفاسف الامور .

وقد اصبحت لهذه الاذاعة ميزانية ضخمة تقدر بـ « ١٥٠ »